

موقف الأشاعرة من مسألة التكفير

أهداف الدرس

1. أن أتعرف مذهب الأشاعرة في مسألة التكفير؛
2. أن أتبين خطورة تكفير أحد من أهل القبلة؛
3. أن أحذر الوقوع في تكفير أحد من المسلمين.

تمهيد

تعد مسألة التكفير من أخطر المسائل التي أثارت في الفكر الإسلامي، وقد استشعر أهل السنة الأشاعرة خطورتها، فكان لهم موقف منها، مع تصديهم للرد على من أطلق العنان لتكفير أحد من أهل القبلة.

فما موقف الأشاعرة من مسألة التكفير؟ وما هي ردودهم على مخالفيهم في ذلك؟

نص الانطلاق

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنوب يرتكبه ما لم يستحلله كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا». [الإبانة عن أصول الديانة، ص 16].

الفهم

الشرح:

– ندين: نتعبد الله تعالى.

– يستحلله: يعتقد كونه حلالا.

استخلاص المضامين:

– استخلص موقف الأشاعرة من مسألة التكفير
وردهم على مخالفيهم.

التحليل

نتناول في الدرس ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قضية التكفير

التكفير هو: نسبة أحد من أهل القبلة فرداً أو جماعة إلى الكفر وإخراجه من ملة الإسلام بالإطلاق أو التعيين بما لم يجعله الشرع كفراً، وتعود مسألة التكفير إلى ظهور فرقة الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه في معركة صفين، بعد قبوله للتحكيم لإيقاف الحرب مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فحكموا بكفر علي ومعاوية والحكمين: أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص رضي الله عنهما، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، رافعين شعار «لا حكم إلا لله» كما كفروا بارتكاب الذنوب.

وقد نهى الإسلام عن تكفير أحد من أهل القبلة، وحذر من ذلك أشد التحذير، وتوعد فاعل ذلك بأشد الوعيد في نصوص عديدة، منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه ياكافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه». [صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: ياكافر] وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً فإن كان كافراً وإلا كان هو الكافر» [سنن أبي داود، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه] وحديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «... ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه» [صحيح مسلم، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم] ومعنى حار عليه رجع عليه. وحديث ثابت بن الضحاك أن رسول الله ﷺ قال: «... ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله». [صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن].

المسألة الثانية: موقف الأشاعرة من مسألة التكفير

ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري وأتباع مذهبهم إلى أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ارتكبه صغيراً كان أو كبيراً كالزنا والسرقة وشرب الخمر ما لم يعتقد عدم حرمة، وجعل ذلك ديناً يدين به؛ محتجاً هو وأتباع مذهبهم على جواز العفو عن مرتكب الكبيرة ولو بدون توبة بأنه حق لله تعالى، وبعدد من الآيات والأحاديث الناطقة بالعفو عن الذنوب، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَوْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَعْرِفْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ شَاءَ ﴿[النساء 47]﴾ وقوله تعالى: ﴿وَعُوذُوا بِاللَّهِ يَافَاةً أَوْ يُعْبَهُ أَوْ تَحِيَّةً أَوْ جَانِبًا يُحْشَدُ﴾ [الشورى 23] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْبَرٍ لِّالنَّاسِ عَلَيْهِ ظُلُمٌ مِّمَّا كَفَرُوا﴾ [الرعد 7].

وبحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة» [صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء] وبحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الشفاعة].

المسألة الثالثة: رد الأشاعرة مذهب الخوارج والمعتزلة في مسألة التكفير

ذهب الخوارج والوعيدية من المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة - إن لم يتب - كافر مخلد في النار، ورد عليهم أهل السنة الأشاعرة بأمور منها ما ذكره الإمام إبراهيم اللقاني:

- حقيقة الإيمان هو التصديق القلبي، ولا يخرج المؤمن عنه إلا بما ينفيه، والإقدام على الكبيرة لغلبة شهوة لا ينافي الإيمان.

– الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق المؤمن على العاصي ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ هَآئِیَ بَقِیَّرْ مِنْ الْمُؤْمِنِیْرِ أَفْتَتَلُوْا﴾ [الحجرات 9] .

- إجماع الأمة من عصر النبي ﷺ إلى يومنا على الصلاة على من مات من أهل القبلة من غير توبة والدعاء والاستغفار لهم.

– لو كان الذنب موجبا للكفر لما نُصبت على المعاصي الزواجر والحدود. [هداية المريد لجوهرة التوحيد، ص 427-428 بتصريف].

التقويم

1. أبين موقف الأشاعرة من مسألة التكفير مع ذكر أدلتهم.
2. بماذا رد الأشاعرة على الخوارج والمعتزلة في مسألة التكفير؟

الاستثمار

قال إمام الحرمين: «ذهبت الخوارج إلى أن من قارف ذنبا واحدا ولم يوفق للتوبة حبط عمله ومات مستوجبا للخلود في العذاب الأليم ، وصاروا إلى أنه يتصف بكونه كافرا إذا اجترم ذنبا واحدا... والمعتزلة وافقوا الخوارج في المصير إلى استحقاق الخلود على ما سنفصل مذهبهم ، ولكنهم فارقوا الخوارج من وجهين: أحدهما أنهم لم يصفوا مرتكب الكبيرة بالكفر ، ولم يصفوه بالإيمان ، وزعموا أنه على منزلة بين المنزلتين ورسموه فيها بكونه فاسقا ، وفارقوهم من وجه آخر فقالوا: استحقاق الخلود يخص الكبائر...»

وقال أيضا: من مات من المؤمنين على إصراره على المعاصي فلا يقطع عليه بعقاب ، بل أمره مفوض إلى ربه تعالى ، فإن عاقبه فذلك بعدله ، وإن تجاوز عنه فذلك بفضلته ورحمته ، فلا يستنكر ذلك عقلا وشرعا» [الإرشاد، ص 298 بتصرف].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أقارن بين موقف الخوارج والمعتزلة من مقترفي الذنوب .
2. أبرز موقف الأشاعرة من مرتكب الكبيرة وأدلتهم على ذلك .

الإعداد القبلي

أراجع كتاب الإنصاف للباقلاني ، وأبحث عن الآتي:

1. معنى القضاء والقدر .
2. مذهب الأشاعرة في مسألة القضاء والقدر .